بسم الله الرحمن الرحيم

الاضحية في الاسلام والشرائع الاخرى

بقلم الاستاذ الدكتور

على عبد الواحد وافى

تدل الدراسات الاجتماعية على أن نظام الاضحية لم يخل منه دين ولا ملة ولا نحلة من الاديان والملل والنحل التى كانت مطبقة وتطبق الان فى العالم الانسانى. ولا أدل على قدم هذا النظام وعموم انتشاره من الكلام عنه فى جميع الاسفار المقدسة للاديان السابقة للاسلام ، ومن أن القرآن الكريم يحدثنا عن شكل من اشكاله جرى العمل به فى عهد آدم أبى البشر نفسه ، وذلك اذ يقول : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر » (آية ٢٧ من سورة المائدة) .

هذا والوضع الالاهى السليم للاضحية وهو الوضع الذى شرعه الله تعالى منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وهو أن تكون من الانعام المأكولة اللحم وأن تذبح ذبحا شرعيا ويذكر اسم الله عليها ، وأن يكون الله وحده هو المتقرب بها اليه ، وأن يكون الغرض من تقديمها أن تكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وطاعته وامتثال أوامره ، وشكره على نعمائه التى اسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الانعام وسخرها لهم وفرصة للاحسان والبر بالفقراء والمساكين ، وذلك بالتصديق عليهم بلحومها أو بشىء منها .

ولكن كثيرا من الملل والنحل والتقاليد والنظم التى كانت مطبقة والتى لا تزال مطبقة فى العالم الانسانى قد انحرفت فيها شعيرة الاضحية عن هذا الوضع الالاهى السليم . وقد حدث هذا الانحراف فى أربعة أمور : فى نوع الاضحية ، وفى طرائق تقديمها ، وفى المتقرب بها اليه ، وفى الغرض من تقديمها .

وسنبدأ بضرب أمثلة لهذه الانحرافات فى المجتمعات التى لا تدين بأية شريعة سماوية ، ثم نتبعها بأمثلة لهذه الانحرافات عند اليهود والنصارى الذين انزل الله عليهم شريعة سماوية ، ولكنهم بدلوهاوحرفوها عن مواضعها ، ونسوا خطا مما ذكروا به ، ونختم البحث ببيان موقف الاسلام حيال هذه الشعيرة وقضائه على هذه الانحرافات .

الاضحية عند شعوب لا تدين بشريعة سماوية

لم تكن الضحايا عند كثير من هذه الشعوب مقصورة على الانعام ، بل كانت تقدم كذلك من بنى الانسان انفسهم ـ ولم تكن طريقة تقديمها على الذبح ، بل كانت تتمثل كذلك فى طرق أخرى كثيرة كالخنق والشنق والاغراق فى مياه البحار والانهار والحرق بالنار ودفن الضحية حية . ـ وكانت الضحايا تقدم للالهة التى كانت هذه الشعوب تعبدها من دون الله . ـ وكانت العقيدة السائدة أن هذه الالهة تفيد من هذه الضحايا وينالهم لحومها ودماؤها أو يسخرونها فى حاجاتهم ، وانها فى مقابل ذلك تحقق أغراض بنى الانسان .

فقد عثر الباحثون على مجتمعات بدائية كثيرة بين السكان الاصليين لامريكا واستراليا وافريقيا كانوا يقدمون ضحاياهم من بنى الانسان . وكان من أشد هذه المجتمعات تمسكا بهذا النظام قبائل الازتك Aztéquers وهم السكان الاصليون للمكسيك . فقد كانوا يقدمون الضحايا الانسانية لالهتهم ، وخاصة الاه الذرة التى كان يتألف منها غذاؤهم الرئيسى . وكانوا يقدمونها فى مناسبات كثيرة يتكرر بعضها كل عام ، حتى لقد بلغ متوسط ما كانوا يقدمونه سنويا من هذه الضحايا زهاء خمسين الفا من الادميين من مختلف الاجناس والاعمار ، كما جاء فى احصائيات كثير من علما الاتنوجرافيا ، وهم الباحثون فى تاريخ الحضارات الانسانية . وكانت طريقتهم فى تقديم الاضحية طريقة غريبة تتمثل فى أن يهشم جسمها بحجرين ثقيلين يصوبان ضرباتهما المتتالية السريعة الى ظهرها وصدرها . وقد جرت العادة لديهم أن تكون الضحية فى مرحلة من العمر تشبه مرحلة نبات الذرة فى الوقت الذى تقدم فيه ، فتكون وليدا عقب ظهور النبات

ورجلا بعد تمام نموه ، وطفلا أو مراهقا أو شابا فيما بين ذلك . وكانوا يعتقدون أن هذا التناسب بين سن الاضحية والمرحلة التى يجتازها النبات يجعل لها أكبر الاثر فى نموه وغزارة محصوله .

ولم يقتصر تقديم الضحايا البشرية على هذه الشعوب البدائية التى ضربنا مثالا لها ، بل لقد انتشر هذا النظام عند كثير من المجتمعات المتحضرة التى لا تدين بشريعة سماوية ، وخاصة قدماء المصريين واليونان والرومان .

وكان من أهم مظاهر هذا النظام عند قدماء المصريين أنهم كانوا يقدمون لنهر النيل ، الذى كان يعد من أكبر معبوداتهم ، بنتا عذراء كل عام ضحية له ، يغرقونها فى مياهه لكى تطيب بها نفسه ، فيغمر البلاد بخيره وفيضانه . وكانت الضحية تختارها عادة من اسرات الاشراف والنبلاء حتى يتسق مقامها مع مقام الاله المقدمة اليه . ويقال أن هذا التقليدية قد ظل متبعا فى مصر الى أن أبطله عمر بن الخطاب وأمر بالاقلاع عنه . ويقال انه كتب رسالة وأمر أن يلقى بها فى النيل ، وقال فيها مخاطبا النهر : « ان كنت تفيض من عندك فلا حاجة لنا بك ، وان كنت تفيض من عند الله فليس الله فى حاجة الى عذراء » . ومع ظهور صفات الاسطورة على هذه القصة فان اختراعها وتداولها يدلان على قدم هذا النظام وتأصله وبقائه أمدا طويلا عند المصريين فى عصورهم القديمة والوسطى . وقد ترك هذا النظام فى مصر رواسب كثيرة ، من أهمها ما كانوا يسمونه « عروس النيل » ، وهو تمثال لبنت كان يقذف به فى النيل ابان فيضانه وكان هذا يتم فى حفل كبير ، وكان هذا التمثال رمزا للاضحية الاولى التى كانت تقدم اليه من العذارى . وقد ظل هذا التقليد معمولا به فى مصر الى عهد قريب .

وكانت الضحايا البشرية عند قدماء اليونان تقدم فى مناسبات كثيرة دينية ودنيوية لكبير آلهتهم « زوس » Zeus (وهو نفسه الاله جويتير عند قدماء الرومان وكوكب المشترى عند العرب) . وكانت الضحية تختار عادة من أسرات الاشراف والنبلاء ، وفى أوقات المجاعات كانت تختار فى الغالب من الاطفال الصغار لهذه الاسرات . وكانت طريقة تقديمه تتمثل

فى الغالب فى الذبح أو الخنق أو الشنق . وقد ظلت هذه التقاليد سائدة لديهم حتى القرن الثانى بعد الميلاد . فكثير من مؤرخى هذا العهد يذكرون حوادث لافراد قدموا أنفسهم ضحايا طوعية واختيارا لكبير آلهتهم «زوس»

وقد ظل هذا النظام ، وهو تقديم الضحايا البشرية قربانا للالهة ، متبعا عند قدماء الرومان حتى قبيل الميلاد المسيحى . ففى العام السابع والتسعين قبل الميلاد اصدر مجلس الشيوخ الرومانى قانونا يحرم تقديم الضحايا من الادميين ، ويقرر عقوبات لمن يقدم على ذلك . ولكن هذا القانون لم يضع حدا لهذا التقليد ، بدليل أنه قد ظهر بعده قانون أخر يحدد أمر التحريم ويزيد من عقوبة المخالفين . وذلك لان تكرار قوانين الحظر واتجاه كل منها الى تشديد العقوبة عما كانت عليه ، كل ذلك يدل على شيوع الشىء المحظور وعجز أولى الامر عن القضاء عليه .

وقد شاع تقديم الآباء أولادهم ضحايا للالهة عند كثير من الشعوب التى لا تدين بشريعة سماوية ، وعلى الاخص عند العرب فى الجاهلية . فبعض القصص التى تروى عن عرب الجاهلية تدل على أن هذا النظام قد ظل سائدا لديهم الى قبيل الاسلام . فمن ذلك ما ينسب الى عبد المطلب جد النبى عليه السلام ، فقد روى أنه لما لقى العنت فى حفر زمزم ، اذ لم يكن معه حينئذ من يعاونه غير ابنه الحارث ، نذر لئن ولد له عشرة بنين ، وبلغوا معه السعى حتى منعوه وأغنوه عن طلب المعونة من الناس ، لينحرن احدهم ويقدمنه ضحية لهبل ، وهو صنم لقريش كان فى جوف الكعبة ، يقول عنه ابن الكلبى فى كتابه « الاصنام » أنه كان من عقيق احمر ، على هيئة الانسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب . فلما ولد لعبد المطلب عشرة بنين وتوافرت فيهم شروط النذر جمعهم أبوهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء به ، فأطاعوه . فذهب بهم الى الصنم هبل واقترع عليهم ، فجعل لكل منهم قدحا ورقم اسمه عليه ، وضرب القداح فخرج قدح عبد الله والد الرسول عليه السلام ، فهم بذبحه وتقديمه قربانا لهبل وفاءا بنذره ، فمنعته قريش من ذلك ، وطلبت اليه أن يذهب الى كاهنة سموها يستشيرها بالامر لعلها تجد له مخرجا يتحلل به من نذره بدون أن يذبح ابنه . فأشارت عليه

الكاهنة أن يضرب القداح بين عبد الله وعشرة من الابل ، فان خرجت القداح على الابل ذبحها بدلا من ابنه ، وان خرجت القداح على عبد الله زاد الابل عشرة فعشرة وهكذا دواليك حتى تخرج القداح على الابل فينحر العدد الذى خرجت القداح عليه بالغا ما بلغ . فخرجت القداح فى أول الامر على عبد الله ، ولم يزل عبد المطلب يزيد من عدد الابل عشرة فعشرة ويضرب القداح وتخرج القداح على عبدالله حتى بلغ عدد الابل مائة فخرجت القداح على الابل . فنحر هذا العدد كله تحت قدمى هبل قربانا له ووفاء بنذره وفداء لابنه . – ومهما يكن مبلغ الصحة فى هذه القصة فانها تدل على أن نظام التضحية بالاولاد وتقديمهم قربانا للالهة قد ظل سائدا عند عرب الجاهلية حتى قبيل الاسلام ، وانه قد اصبح حينئذ غير مستساغ بدليل ما تذكره هذه القصة من أن قريشا منعت عبد المطلب أن يذبح ابنه ، واصبح على وشك الانقراض لديهم ، اذ اتجهوا الى أن يستبدلوا به نظام التضحية بالحيوان .

وقد ساد عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية ، وخاصة بعض بطون من قريش وربيعة وكندة وطيء وتميم ، نوع خاص من التضحية بالاولاد وهو وأد البنات . وكانت الطريقة السائدة فى هذا الوأد أن تحفر بجانب المكان الذى اختير لولادة الام حفرة عميقة ، فاذا ظهر أن المولود أنثى قذف بها حية عقب ولادتها مباشرة وهيل على جسمها التراب . وبعض هذه العشائر كانت تئد بناتها فى أمكنة خاصة بعيدة عن المنازل حتى لا تدنسها بجثثهن ورفاتهن . وكان جبل ابى دلامة أشهر مكان كانت بعض بطون قريش تئد فيه بناتها على هذه الطريقة . وقد ظهر لى من شواهد قرآنية وتاريخية كثيرة واثبت ذلك فى بحث لى بالفرنسية قدمته الى مؤتمرات « المجمع الدولى لعلم الاجتماع » وطبعه المجمع فى فصلة على حدة ، أن وأد البنات عند هذه العشائر كان نظاما دينيا يقصد به التخلص من جنس البنات وتقديمهن قربانا لالهتهن . وذلك أنه قد ساد الاعتقاد عند هذه العشائر أن الذكور جنس طاهر زكى من خلق الهتهم فيجب الابقاء عليه ، وان الاناث جنس غير طاهر وغير زكى من خلق الله ، فلا يجوز الابقاء عليهن، بل يجب تقديمهن ضحايا لمعبوداتهم الذين اشركوهم بالله ، وهذه العشائر هى التى عناها القرآن الكريم فى عدة ايات منها قوله تعالى « وجعلوا

لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا الشر كائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ، ساء ما يحكمون . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءا على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (آيات ١٣٦ ـ ١٤٠ من سورة الانعام) أى ن آلهتهم الذين اشركوهم بالله هم الذين زينوا لهم قتل بناتهم ، على اساس تقسيمهم للاشياء بين الله وشركائهم ، وعلى أساس أن جميع ما يجعلونه لله يجب أن يقدموه ضحايا لشركائهم ، زينوا لهم ذلك فاردوهم وأفسدوا عليهم دينهم وعقائدهم . ومنها كذلك قوله بعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون » أى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد « نصيبا مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون . ويجعلون لله البنات ، سبحانه ، ولهم ما يشتهون » ويقول بعد ذلك مباشرة : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون » (آيات ٥٦ ـ ٥٩ من سورة النحل) . ومنها كذلك قوله تعالى : « وجعلوا له من عباده جزءا ، ان الانسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين » ويقول بعد ذلك مباشرة : « واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا » (أى بالجنس الذى نسبه لله وهو جنس الاناث) « ظل وجهه مسودا وهو كظيم ... » (آيات ١٥ ـ ١٩ من سورة الزخرف) (١) .

---

(١) انظر فى تفاصيل هذا الموضوع صفحات ٦١ ـ ٧٣ من كتابى « الصوم والاضحية » ، وصفحات ٩٤ ـ ١٠٣ من الجزء الاول من كتابى « غرائب النظم والتقاليد والعادات » (وهو اهم مرجع فى هذا الموضوع) ، وصفحات ١٤٠ ـ ١٤٤ من الطبعة السابعة من كتابى (الاسرة والمجتمع) ، ومقالا لى فى مجلة (الشئون الاجتماعية) المصرية عدد مارس ١٩٤٠ ، ومقالا لى بمجلة الرسالة عدده ابريل ١٩٦٥ ، ومقالا لى بالفرنسية بعنوان (نظرية جديدة فى واد البنات عند العرب فى الجاهلية) قدمته الى مؤتمر من مؤتمرات « المجمع الدولى لعلم الاجتماع » الذى اشرف بعضويته ، ونشره

وبجانب هذه العشائر كان ثم عشائر عربية أخرى تقتل أولادها ذكورهم واناثهم تحت ضغط الفقر والاملاق وما كان يخيل اليهم من انهم قد يعجزون عن الانفاق عليهم ۰ ولكن هذا القتل لم يكن من الاضحية فى شىء ، ولم يكن الباعث عليه اعتقادا دينيا ، وانما كان الباعث مجرد الرغبة فى التخلص من الاولاد على العموم ومن اعباء تربيتهم ۰ وهذه العشائر هى التى عناها القرآن الكريم اذ يقول : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، أن قتلهم كان خطأ كبيرا » (آية ٣١ من سورة الاسرام) واذ يقول : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم » (آية ١٥١ من سورة الانعام) ۰

هذا وكانت العقيدة السائدة عند كثير من هذه الشعوب أن معبوداتهم يفيدون من هذه الضحايا ، وينالهم لحومها ودماؤها ، أو يسخرونها فى حاجاتهم ۰ ووصفت بعض هذه الشعوب معبوداتها بصفات القسوة والوحشية وحب الدماء والتلذذ بمنظر الدم المهراق على العموم أو بمنظر ازهاق أرواح الآدميين أو أرواح انواع خاصة منهم ، فكانوا يقدمون الضحايا الحيوانية والانسانية لهذه المعبودات تهدئة لهذه الميول اسموية ، واتقاء لشرهم ، وتامينا على حياة الجماعات ، كما يقدم صاحب القطيع بعض أفراد قطيعه للسبع لينجو هو ببقية افراد القطيع ۰

المجمع فى مجلته ، وطبعه فى فصله على حدة وهو اول بحث عرضت فيه نظريتى هذه ، ومقالا بالفرنسية فى مجلة « المصرية » L'Egyptienne عدد يوليو ١٩٣٢ ، ومقالا لى بالعربية نشر بالعدد الممتاز من مجلة «الرسالة» فى ٣ مارس ١٩٤١ وانظر مناقشات بصدد هذا المقال جرت بينى وبين بعض الباحثين فى مجلة الرسالة (اعداد ٣١ مارس و ١٤ ابريل و ٢٨ أبريل و ٥ مايو ١٩٤١) وفى مجلة « الفتح » (عدد ٢٩ صفر ١٣٦٠ ﻫ) ۰

وقد تصديت فى معظم هذه المراجع للرد على من يذهب الى أن السبب فى الواد يرجع الى الفقر وعلى من يذهب الى انه يرجع الى مبالغة بعض العشائر العربية فى الحرص على صيانة اعراضها ، وبينت عدم صحة هذين الرايين ۰

الاضحية عند اليهود والنصارى

وجميع ما تقدم ذكره يتمثل فى انحرافات فى نظام الاضحية فى مجتمعات لا تدين بشريعة سماوية • وقد حدثت اشباه ونظائر لهذه الانحرافات عند اليهود والنصارى أنفسهم الذين انزل الله عليهم شرائع سماوية ، ولكنهم بدلوها وحرفوها عن مواضعها ونسوا حظا مما ذكروا به• فقد بقى فى تقاليد اليهود وعقائدهم كثير من مظاهر الوحشية والانحراف والجهل فى فهم الغرض من الاضحية والمتقرب بها اليه وفى اختيار نوعها وطرائق تقديمها •

فمن ذلك أن كثيرا من فقرات العهد القديم نفسه ، وهو كتابهم المقدس الذى يزعمون أن اسفاره الخمسة الاولى ، وهى اسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين ، تتضمن التورات التى أنزلها الله على موسى ، والتوراة بريئة منها ، أقول ان كثيرا من فقرات هذا الكتاب المقدس لديهم تدل على انهم فى مرحلة من مراحل تاريخهم القديم كانوا يقدمون أول مولود ضحية لالاههم • فقد ورد فى هذه الفقرات أن فرعون لم يسمح لبنى اسرائيل بالخروج مع موسى من مصر ، فأنزل اله اسرائيل نقمته على المصريين ، فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل انثى من حيواناتهم فى سائر بلاد مصر • ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بنى اسرائيل ، وأذنوا لهم بالخروج من مصر وكان هذا «الخروج أو الفسح» أو ما يسمونه « الفصح او اليصح » ويحرفه الفرنجة فيسمونه « الباك » La Paque كان هذا الخروج حدثا فى تاريخهم ، واليه يرجع الفضل فى استقلالهم وتحررهم من الاستعباد • وتضيف أسفارهم الى ذلك فتقول انه لكى يظل بنو اسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم فى هذا الخروج فرض عليهم أن يخصصوا للرب ، اى أن يقدموه ضحية له ، أول ما تلده كل أنثى من الانسان والحيوان • ولكن خفض الله عنهم فيما بعد فيما يتعلق بأول مولود من الادميين ، فشرع فداءه بذبح من الضأن • واذا لاحظنا أن هذه الاسفار ليست هى التوراة التى انزلها الله على موسى ، بل هى من صنعهم وقد كتبوها بأيديهم وأشار القرآن الكريم الى ذلك اذ يقول :« فويل للذين يكتبون الكتاب

بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » (آية ٧٩ من سورة البقرة) ، ولاحظنا كذلك انهم قد سجلوا فى هذه الاسفار ما كانوا يسيرون عليه بالفعل فى مختلف مراحل تاريخهم ، اذا لاحظنا هذا وذاك أمكننا أن نستنبط مما ورد ذكره فى هذه الاسفار أن التضحية بأول مولود آدمى كان نظاما سائدا لديهم فى مرحلة من مراحل تاريخهم القديم .

ومن ذلك ايضا أن توراتهم المزعومة تنص على أن الضحايا المحرقة ، وهى التى تقدم ضحايا لالاههم وتحرق اجزاؤها فى المذبح تحت اشراف احد اللاويين ، وهم كهنة بنى اسرائيل وفقهاؤهم ، ويتألفون من نسل لاوى أو ليفى أحد ابناء يعقوب ، تنص توراتهم المزعومة على أن هذه الضحايا المحرقة يرتاح لها الاه اسرائيل ، ويفيد ومنها ، وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد منها ، وانه لذلك لا يصح ان ياكل أحد منها حتى تكون خالصة له ، وانه يغضب أشد الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وانه قد يصب حينئذ جام غضبته وسوط عذابه على المقصرين والمخالفين فيرسل عليهم نارا تحرقهم ، كما فعل بولدين من أولاد هرون لم يحسنا تقديم الاضحية اليه

واشنع من هذا كله وأشد دلالة على وحشية اليهود ، وفساد عقائدهم ومبلغ عداوتهم للاجناس الاخرى من بنى الانسان، أن اسفار التلمود ، وهى اسفار من تاليف أخبارهم وربانييهم باعترافهم هم انفسهم ، ولكنها مع ذلك مقدسة لديهم ، ولا تقل اهميتها عند كثير منهم عن أهمية التوراة نفسها ، هذه الاسفار تحثهم على خطف الآدميين من غير بنى اسرائيل وذبحهم وتقديمهم قربانا لالاهتهم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى اعيادهم ، وخاصة عيد الفصح ، وعيد استير أو البوريم، ومراسيم ختان الاطفال ، وطقوس سحرهم وشعوذتهم .

وقد عنى المؤرخ الانجليزى أرنولدليز Ornold Leese بتسجيل أهم ما ثبت اقتراف اليهود له ، من منتصف القرن الثانى عشر الى سنة ١٩٣٧ فى مختلف بلاد أوروبا واسيا من هذه الجرائم ، واعنى بها خطف اليهود للادميين من غير بنى اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لالاههم ، ومزج

دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في المناسبات السابق ذكرها عملا بوصايا تلمودهم ، ، وجمع هذا كله في كتاب له ظهر سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « طقوس الاغتيال اليهودية » Jewish Ritual Murder

فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجرائم في كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء وحكم في بعضها بالاعدام على المجرمين ، ونفذ فيهم الحكم (١) ٠

بل لقد شهد شاهد من أهلهم ومؤرخ من اقدم مؤرخيهم واشهرهم ، وهو المؤرخ اليهودي يوسيفوس المتوفى سنة ٦٥ بعد الميلاد ، شهد بانهم ما كانوا يقتصرون على ذبح الآدميين من غير بني اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لالاههم ، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في اعيادهم بل كانوا كذلك يأكلون قطعا من لحومهم ٠

وتقوم الديانة المسيحية الحاضرة ، وهي ليست المسيحية التي أنزلها الله على عيسى ، بل هي ديانة شرك قد حرفت تحريفا كبيرا عن أوضاعها الالاهية الاولى ، تقوم هذه الديانة على عقيدة الفداء الرباني ، أو تضحية الالاه بنفسه ٠ وذلك انهم يعتقدون أن الاقانيم الالاهية ثلاثة وهي الاب والابن وروح القدس ، وأن المسيح الاه متلبس بأقنوم Hypostage من هذه الاقانيم وهو أقنوم الابن أو الكلمة ، وأن هذا الالاه قد قدم نفسه للصليب ضحية ليفدى الادميين ويكفر عنهم بدمه الخطيئة الازلية الاولى التي ارتكبها أبوهم آدم اذ اكل الفاكهة المحرمة عليه والتي انتقل اثمها الى جميع نسله ، وكان هذا الاثم سيظل عالقا بهم أبد الابدين لولا هذه التضحية وهذا الفداء ٠

---

(١) انظر في هذا كله كتاب أرنولدليز المشار اليه وكتاب المرحوم عبد الله التل « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » ، وكتابنا « الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام » الطبعة الثانية ، صفحات ٣٠ ــ ٣٣ ، ومقالا لنا في جريدة « العلم » المغربية الصادرة في ٣٠ـ١١ـ٧٤ ، ومقالا لنا في مجلة الرسالة « الرسالة » المصرية عدد ١٥ ابريل ١٩٦٥ ٠

الاضحية فى الاسلام

وجاء الاسلام فقضى على هذه الانحرافات جميعا وعاد بالاضحية الى الوضع الصحيح الذى شرعه الله من عهد ابراهيم عليه السلام ·

ففيما يتعلق بمعتقدات المسيحيين فى المسيح والصلب والفداء يقرر الاسلام أن المسيح ليس الا بشرا رسولا أرسله الله الى بنى اسرائيل كما ارسل اليهم كثيرا من الرسل من قبله ، وانه لم يقتل ولم يصلب بل شبه لهم ورفعه الله اليه وأن اثم المعصية لا يحتمله الا مقترفها وحده ، فلا تنتقل الى غيره ، وان آدم قد استغفر من خطيئته عقب وقوعها مباشرة ،فغفرها الله له ، وانمحى أثرها من ذلك الحين وانتهى أمرها · وفى هذا يقول الله تعالى « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلتقبله الرسل ، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام » ، ويقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ويقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »ويقول : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ،انه هو التواب الرحيم » ·

وكما قضى الاسلام على هذه العقائد المسيحية الفاسدة ، قضى كذلك على جميع ما حدث فى الاديان والملل والنحل الاخرى ، وخاصة عند اليهود وعرب الجاهلية ، من انحرافات في نظام الاضحية ، سواء في ذلك ماحدث من هذه الانحرافات في نوع الاضحية ، وما حدث في طرائق تقديمها ، وما حدث في المتقرب بها اليه ، وما حدث في الغرض من تقديمها ·

أما فيما يتعلق بنوع الاضحية وطرائق تقديمها والمتقرب بها اليه ، فان الاسلام يقرر أن الضحايا لا تكون الا من الانعام المأكولة اللحم ، وان ليس لتقديمها الا طريقة واحدة وهى النحر في الابل والذبح فيما عداها على أن يذكر اسم الله عليها في اثناء النحر أو الذبح ، الله وحده هو المتقرب بها اليه · وفي هذا يقول الله تعالى « ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فالاهكم الاه واحد ، فله أسلموا وبشر المخبتين » (آية ٣٤ من سورة الحج) (والمنسك هو تقديم النسك وهو الاضحية ، واسلم أى أذعن وانقاد ، واخبت أى خشع وتواضع ، والمخبت هو الخاشع المتواضع) · ففى قوله تعالى : «ليذكروا اسم الله على مارزقهم

من بهيمة الانعام » اشارة الى أن الاضحية لا تكون الا من الانعام المأكولة اللحم ، وأن ليس لتقديمها الا طريقة واحدة وهى أن تنحر أو تذبح على الطريقة الشرعية ويذكر اسم الله عليها ، وفي قوله تعالى : « فالاهكم الاه واحد ، فله أسلموا وبشر المخبتين » اشارة الى ان الله وحده هو الذى يتقرب اليه بالضحايا . وبذلك قضى الاسلام على جميع ما حدث في الاديان والملل والنحل من انحرافات في نوع الاضحية وفي طرائق تقديمها وفي المتقرب بها اليه .

وأما فيما يتعلق بالامر الرابع ، وهو الغرض من الاضحية ، فان الاسلام يقرر أن الغرض منها أن تكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وطاعته وامتثال أوامره والتقرب اليه وشكره على نعماته التى اسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الانعام وسخرها لهم ، وفرصته للاحسان والبر بالفقراء والمساكين . ويقرر كذلك أن الله تعالى لا يصل اليه شيء من لحوم الاضاحى ولا من دمائها ، ولا يفيد شيئا من هذه الدماء ، وانما الذى يصل اليه من ذلك هو تقوى الناس له ، وامتثالهم لاوامره ، وشكرهم له على تسخير الانعام لهم وعلى هدايته اياهم . وفي هذا يقول الله تعالى : « لن ينال الله لحوما ولا دماؤهم ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبرو الله على ماهداكم وبشر المحسنين » ؛ والمحسنون هم الذين يحسنون أعمالهم فيؤدونها وفق تعاليم الاسلام ، وهم كذلك الذين يحسنون الى الفقراء والمساكين من لحوم ضحاياهم . وقد وضح الله تعالى هذا النوع الاخير من الاحسان اذ يقول متحدثا عن الضحايا : « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » واذ يقول فى أية أخرى متحدثا عن الضحايا كذلك: « فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » والقانع هو السائل من قنع يقنع بالفتح اذا سأل ، والمعتر هو الذى يطيف ولا يسأل) . وفي هذا رد صريح على ما كان يعتقده كثير من أهل الملل والنحل من أن الالهة يفيدون من هذه الضحايا وينالهم لحوما ودماؤها أو يسخرونها في حاجاتهم ، ورد صريح على ما كان يعتقده اليهود من أن الاههم يرتاح للضحايا المحرقة ، ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد منها ، وانه لذلك لا يصح أن يأكل أحد منها حتى تكون خالصة له .

وبذلك قضى الاسلام على جميع ما حدث في الاديان والملل والنحل من انحراف فيما يتعلق بالغرض من الاضحية ، كما قضى على جميع ما حدث من انحراف فيما يتعلق بنوع الاضحية وطرائق تقديمها ، والمتقرب بها اليه .

ومن ثم حرص الاسلام على تحريم ضحايا العرب في الجاهلية التى ترجع في أصلها الى عبادة الشرك وتقديم القربان لغير الله · ومن ذلك ضحية « الفرع » بفتحتين ، وهو اول نتاج الانعام الذى كان العرب يذبحونه لطو اغيتهم ، وضحية « العتيرة » التى كانوا يذبحونها لاصنامهم في شهر رجب · فقد اخرج البخارى في صحيحه عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لافرع ولا عتيرة »·

وحرص الاسلام كذلك في بعض ما أقره من ضحايا الجاهلية على ان تسمى بأسماء غير الاسماء التى كانت تطلق عليها من قبل ، حتى تنقطع صلتها بالجاهلية وعقائدها وطقوسها ومن ذلك الضحية التى يســـــن في الاسلام ذبحها للاحتفال ببلوغ المولود اليوم السابع ، وهو اليوم الذى يعلن فيه اسمه ويحلق فيه شعره ، والغرض منها اظهار البشر بالمولود الجديد وشكر الله على ما انعم والتوسعة بهذه المناسبة على الفقراء والمساكين الذين ينبغى أن يخصص لهم قسم منها · فقد كانت هذه الضحية تسمى في الجاهلية « عقيقة » تسمية لها بالكلمة التى تدل على الشعر الذى يولد عليه المولود، لان كلمة «عقيقة »في اللغة العربية معناها هذا الشعر ، ثم أطلقت على الضحية التى تذبح في اليوم الذى يحلق فيه هذا الشعر · وقد آثر الرسول عليه السلام أن تسمى « نسيكة » حتى يطلق عليها لفظ آخر غير اللفظ الذى كان يطلق عليها في الجاهلية، فتنقطع بذلك صلتها بالجاهلية وعقائدها وطقوسها ، فقال عليه السلام : « قولوا نسيكة ولا تقولوا عقيقة » · والنسكية كالنسك معناها الضحية التى تقدم قربانا لله تعالى ·

وترجع أهم الضحايا في الاسلام الى اربعة أنواع · احدها الهدى الذى يقدمه الحاج وجوبا واستحبابا أو كفارة عن خطا أو نقص حدث في مناسك الحج · وثانيها الضحية التى يقدمها غير الحاج يوم عيد الاضحى · وثالثها الضحية التى يقدمها المؤمن وفاء بنذر نذره، لقوله تعالى :«وليوفوا نذروهم » ورابعها العقيقة أو النسيكة السابق ذكرها · وكل نوع من هذه الانواع يجب أداؤه وفق الاوضاع الاسلامية التى ذكرناها ؛ وفي كل نوع من هذه الانواع تفصيلات كثيرة يرجع اليها في كتب الفقه الاسلامى ·

د· على عبد الواحد وافي